بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة بتاريخ ٢٨/ ٣/ ٢٠١٤

ظاهرة أطفال الشوارع وأهمية تربية النشء والعناية باليتيم

أولاً- العناصر:

١- حقوق الطفل في الإسلام .

٢- تربية الأطفال وتنشئتهم على الثقة والاستقامة.

٣- الآثار المترتبة على إهمال تربية النشء.

٤- حق اليتيم وضرورة العناية به.

٥- أسباب ظاهرة أطفال الشوارع .

أ- الطلاق والخلافات الأسرية .

ب-التسرب من التعليم .

ج – الأوضاع الاقتصادية لبعض الأسر .

٦- علاج المشكلة ودور المؤسسات ورجال الأعمال .

أ- واجب الأغنياء ورجال الأعمال.

ب – واجب المؤسسات والهيئات الدعوية ، والتعليمية ، والشبابية ، والاجتماعية .

٧- أهمية التعليم وتوفير فرص العمل والقضاء على البطالة.

٨- أهمية الصحبة الصالحة وخطورة رفقاء السوء .

ثانيًا : الأدلة

الأدلة من القرآن الكريم :

١- قال تعالى: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ } [التغابن : ١٥].

٢- وقال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }. [التحريم:٦].

٣- وقال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ} [الطور:٢١].

٤- وقال تعالى: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ } [إبراهيم:٣٧].

٥- وقال تعالى: {رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا } [الفرقان:٧٤].

٦- وقال تعالى : { وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} [طه : ١٣٢].

٧- وقال تعالى : { وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ *وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ } (لقمان : ١٣ : ١٩).

٨- وقال تعالى: { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [البقرة : ٢٢٠].

٩- وقال تعالى: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى *وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ } [الضحى:٦ – ٩].

<u>الأدلة من السنة والآثار:</u>

١- عَنْ أَبِي مُوسَى (ﷺ)عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً »[متفق عليه].

٢- وعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ)يَقُولُ : (كُلُّكُمْ رَاعٍ ومسئول عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالإِمَامُ رَاعٍ ومسئول عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ ومسئول عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ ومسئولة عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ ومسئول عَنْ رَعِيَّتِهِ ، قَالَ فَسَمِعْتُ هَؤُلاَءِ مِنَ النَّبِيِّ (ﷺ) وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ : وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ ومسئول عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مسئول عَنْ رَعِيَّتِهِ).(رواه البخاري).

٣- وعن مَعْقِلٍ بن يَسَارٍ ﷺعَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: « مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلاَّ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ »[متفق عليه]

٤- وعن سَهلِ بْن سَعْدٍ ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ : أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَقَالَ : بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى.) [أخرجه البخاري] .

٥- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (ﷺ) قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) يَوْمًا فَقَالَ: « يَا غُلاَمُ إِنِّى أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَىْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَىْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَىْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَىْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ »
[سنن الترمذي]

٦- وعن عُثْمَان الْحَاطِبِيّ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ(ﷺ) يَقُولُ لِرَجُلٍ:(أَدِّبِ ابْنَكَ، فَإِنَّكَ مَسْئُولٌ عَنْ وَلَدِكَ، مَاذَا أَدَّبْتَهُ؟ وَمَاذَا عَلَّمْتَهُ؟ وَأَنَّهُ مَسْئُولٌ عَنْ بِرِّكَ وَطَوَاعِيَتِهِ لَكَ) (السنن الكبرى للبيهقي).

ثالثًا – الموضوع :

إنّ ممّا فطر الله تعالى النفس الإنسانية عليه محبةُ الأولاد، فالقلوبُ متعلقة بهم ، ويسعى الإنسان فى حياته من بدايتها إلى نهايتها ، وجزءٌ كبيرٌ من سعيه لأجلهم ، فهم قرةٌ للعين،وزينةٌ للحياة،وفَلَذَاتٌ للأكباد، وثمراتٌ للفؤاد، وسببٌ من أسباب دخول الجنة لمن أحسن تأديبهم ، وراعى حقوقهم، ولأجل هذا كان من دعاء عباد الرحمن قول الله تعالى : {...وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا } [الفرقان: ٧٤] كما دعا زكريا (عليه السلام) بأن يرزقه الله تعالى الولد، قال تعالى :

{هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ } [آل عمران: ٣٨،] وجعل الله (عزّوجلّ) العطف عليهم والرأفة بهم بابًا من أبواب الرحمة، فعن أبى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيّ جَالِسًا، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ» [صحيح البخاري] .

لقد اعتنى الإسلام عناية فائقةً بالأطفال وتربيتهم تربيةً تحقق للأبناء وللآباء سعادةً فى الدنيا والآخرة ، فاعتنى الإسلام بالطفل قبل أن يأتى للحياة فأمر راغبى الزواج بالانتقاء والاختيار على أساس الدين، لأنّ البيوت إذا شاع فيها جوُّ الإيمان انعكست آثاره على أهله خيرًا وبرًا، وسعادةً وهناءً ، وهذا ما أشار إليه الرسول (ﷺ) حين قال:« ...فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ » [صحيح مسلم]، فإذا ما أَهَلَّ المولود على أبويه فهما مأموران باختيار أحسن الأسماء له، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) :«الغُلَامُ مُرْتَهَنٌ بِعَقِيقَتِهِ يُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ السَّابِعِ، وَيُسَمَّى، وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ» [سنن الترمذى] ، فهذه جملةٌ من السنن المستحبة للمولود، وفيها إظهارٌ لفرحة الآباء بالمولود ، وإدخالٌ للبهجة والسرور على الأهل والأحباب والفقراء.

ثم يأمر الإسلام بعد ذلك بالعناية بالمولود فى مراحل حياته، ففى مرحلة الطفولة نجد النبي (ﷺ) يحنو عليهم ويُلاعبُهم عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ (رضي الله عنه) ، قالُ: إِنْ كَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) لَيُخَالِطُنَا، حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ» [صحيح البخاري] ومع هذه الرحمة توجيهٌ للأطفال وتأديبٌ وتهذيبٌ وتدريبٌ على أحكام الدين وتعاليمه،

هذه تعاليم الإسلام وتوجيهاته التي تبين أنّ للأطفال حقوقًا وواجباتٍ،إذا ما حافظ عليها الآباءُ فإنهم سيجنون ثمرتها برًا ورحمةً وخيرًا، ومن ثمَّ فإنّه ينبغي على الوالدين رعاية ما وهبه الله لهم من ذريةٍ وأبناء، وحفظهم من كل ما يتسبب في ضررهم ، فإنهم الثروة الحقيقية لنا في الدنيا والآخرة ، وهم بابٌ من أبواب الجنة لمن عني بتربيتهم ورعايتهم وإصلاحهم ، فبرُّهم يعود علينا في قبورنا إن كانوا صالحين.

إن الولد قرةُ عينٍ لوالديه إذا كان مستقيمًا في سلوكه ، ناضجًا في تفكيره ، حليمًا في تصرفه ، عفيفًا في أسلوبه ، متمسكًا بتعاليم دينه ، متأسيًّا بأخلاق نبيّه (ﷺ)، سالكًا درب الصالحين، ذلك الأمر الذي يجعل تربية النشء واجبةً على الآباء والأمهات ، ومسؤوليَّةً

كبرى يشترك فيها المجتمع بأسره لنصل إلى الأنموذج الأمثل الذى أراده الإسلام لأبنائنا . يقول الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ (رَحِمَهُ اللَّهُ) : "اعْلَمْ أَنَّ الصَّبِيَّ أَمَانَةٌ عِنْدَ وَالِدَيْهِ وَقَلْبَهُ الطَّاهِرَ جَوْهَرَةٌ نَفِيسَةٌ سَاذَجَةٌ خَالِيَةٌ عَنْ كُلِّ نَقْشٍ وَصُورَة، وَهُوَ قَابِلٌ لِكُلِّ نَقْشٍ وَقَابِلٌ لِكُلِّ مَا يُمَالُ بِهِ إلَيْهِ فَإِنْ عُوِّدَ الْخَيْرَ وَعُلِّمَهُ نَشَأَ عَلَيْهِ وَسَعِدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يُشَارِكُهُ فِي ثَوَابِهِ أَبَوَاهُ وَكُلُّ مُعَلِّمٍ لَهُ وَمُؤَدِّبٍ، وَإِنْ عُوِّدَ الشَّرَّ وَأُهْمِلَ إهْمَالَ الْبَهَائِمِ شَقِيَ وَهَلَكَ، وَكَانَ الْوِزْرُ فِي رَقَبَةِ الْقَيِّمِ بِهِ وَالْوَلِيِّ عَلَيْهِ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى :(قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا)وَمَهْمَا كَانَ الْأَبُ يَصُونُهُ مِنْ نَارِ الدُّنْيَا فَيَنْبَغِي أَنْ يَصُونَهُ مِنْ نَارِ الْآخِرَةِ، وَهُوَ أَوْلَى وَصِيَانَتُهُ بِأَنْ يُؤَدِّبَهُ وَيُهَذِّبَهُ وَيُعَلِّمَهُ مَحَاسِنَ الْأَخْلَاقِ وَيَحْفَظَهُ مِنْ الْقُرَنَاءِ السُّوءِ وَلَا يُعَوِّدَهُ التَّنَعُّمَ وَلَا يُحَبِّبَ إلَيْهِ الزِّينَةَ وَأَسْبَابَ الرَّفَاهِيَةِ فَيُضَيِّعَ عُمُرَهُ فِي طَلَبِهَا إذَا كَبُرَ وَيَهْلِكَ هَلَاكَ الْأَبَدِ". [المدخل لابن الحاج] .

فالطفل إذن صحيفةٌ بيضاءُ نقية في أيدي أبويه ومن يُربّيه ، فإن أحسنوا تربيته نشأ صالحًا، وإن أساءوا نشأ على السوء والفساد ، ومن ثم فإن على الآباء والمربين أن يدركوا أن الأطفال أمانةٌ في أعناقهم ، يُسْأَلُون عنها أمام الله (عزّوجلّ) ، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ(رضي الله عنهما) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) يَقُولُ:(كُلُّكُمْ رَاعٍ ومسئول عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالإِمَامُ رَاعٍ ومسئول عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ ومسئول عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ ومسئولة عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ ومسئولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، قَالَ فَسَمِعْتُ هَؤُلاَءِ مِنَ النَّبِيِّ (ﷺ) وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ: وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ ومسئولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مسئولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ).(متفق عليه).

ومن هنا فإن الإهمال فى تربية الأطفال إهمالٌ للمسؤولية المنوطة بالآباء والمجتمع كله ،ويترتب عليها عواقبُ وخيمة ، بل ومشاكل مؤجّلة تنتظرها الأمة فيما بعد، فماذا ننتظر من هذا الجيل المهزوم الذي نراه الآن وهو يقضي الساعات الطويلة من يومه أو يومه كلّه في الشّارع، بلا روابط أسريةٍ أو بروابط أسريةٍ ضعيفةٍ ، والذين يُطلق عليهم أطفال الشوارع ، وما ينتج عن ذلك من قضايا الأحداث المحمّلة بجرائم متنوعة؟إنّ هؤلاء إنّما هم نتيجة إهمالٍ أو تربية سيئة لآباء لا يعرفون شيئاً عن الإسلام والقيم الإنسانية ، إنّ هذا الجيل من الأطفال لا زالوا في عمر الزهور ، نجدهم في مواقف السيارات وفي إشارات المرور ، وعند أبواب المحلات والمتاجر ، يرمقون المارة بنظراتهم البائسة وبثيابهم الرَّثَّة ، أهكذا يكون الأطفال الذين هم ذُخْرٌ للأمة والمجتمع ؟!، أهكذا

يُنْسَوْن؟ إنها ظاهرة تستوجب الدراسة والبحث ، والانتباه إلى خطر محدق يبعث على القلق والاضطراب ، ويهدد الأمن والسّلام الاجتماعىّ . تُرى ما السبب في هذه الظاهرة ، وانتشارها يومًا بعد يوم ؟ لا شك أنها ناتجة عن عدة أسباب ،جلُّها تشير إلى خللٍ كبير فى المجتمع.

إن من أسباب هذه الظاهرة تخلي الأبوين عن تربية أولادهما ،إما بسبب الفقر الذى يخيم على بعض بيوت المجتمع ،فلا يجد الطفل ما يكفيه من كساءٍ ودواءٍ وغذاء، ولا يجد من يعطيه ما يستعين به على سدِّ رمقه ومتطلبات حياته ،فإنه يخرج من البيت باحثًا عن مصدرٍ للعيش فإمّا أن يضطر للعمل في مهنةٍ شَاقّةٍ أو تتلقفه أيدي السوء والجريمة، فينشأ فى المجتمع مجرمًا ، ويصبح خطرًا على النفس والمال والعِرض.

ومن أسبابها أيضًا النّزاع والشقاق بين الأبوين مِمّا يجعل الطفل يهرب من محيط الأسرة الموبوءة؛ ليبحث عن أصدقاء يقضى معهم جُلَّ وقته، فإن كانوا قرناء سوءٍ ورفقاء شرٍ قادوه إلى سوء الأخلاق وأقبح العادات ، وأصبح أداة خطرٍ على المجتمع بأسره ، يضر ولا ينفع ، ويفسد ولا يصلح ،فعَنْ أَبِي مُوسَى(ﷺ) عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: " إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً " .[متفق عليه]

ومن هذه الأسباب التي أنتجت أطفال الشّوارع كثرة حالات الطّلاق وما يصحبها من تشرد وضياع ، وما يعقب ذلك من تشتت وفراق ، ومن المعلوم يقينًا أنّ الطفل إذا فتح عينيه على الدنيا ولم يجد أُمًّا تحنو عليه ، وأبا يُشفِق عليه ويرعاه فإنه سيتربى على الفساد والانحراف ،ويندفع نحو الجريمة والرذيلة، ومن هنا ندرك بعضًا من حكمة الله في جعل الطّلاق أبغضَ الحلال ، وندرك أخطاره وآثاره على الفرد والمجتمع.

وكذلك من وسائل الإهمال في تربية النشء فعل المنكرات أمامهم ؛ مما يجعل من الوالدين والمربين قدوةً سيئةً فيقلّد الأبناء آبائهم ، ويسيرون على نهجهم .

لقد بيّن لنا الشّرع الحنيف أن تربية النشء يجب أن تكون خاليةً من الكذب ؛ لينشأ الأطفال وقد تعوّدوا على الصدق ، والصّراحة ، والجرأة في القول والعمل،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (ﷺ) عَنْ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) أَنَّهُ قَالَ: " مَنْ قَالَ لِصَبِيٍّ: تَعَالَ هَاكَ، ثُمَّ لَمْ يُعْطِهِ فَهِيَ كَذْبَةٌ"[مسند أحمد] ،بهذا الهدي النبوي ينبغي أن نربّي أولادنا وننشّئهم النشأة

الإسلامية الصحيحة ، تلك التربية الإيمانية التي يتنزّهون فيها عن الكذب ، ويحققون الاستقامة ، وتكتمل شخصياتهم بالخُلُق القَويم ، والسلوك الأمثل .

وكذلك من أهم أسباب هذه الظاهرة: اللقطاء ومجهولو النسب ، فحين تحمل المرأة سفاحًا ولا تستطيع أن تتخلص من حملها ،فإنها بعد الولادة قد تتخلص منه بتركه أمام مسجدٍ أو ملجأٍ ، أو قارعة طريق ليلقى مصيره المحتوم ، وكم من أطفال يعيشون في الشوارع لا يعرفون لهم أبًا ولاأمًّا، وهَؤلاء خَطرهم أكبر من غيرهم ، لأنهم ينقمون على المجتمع كله بسبب جهالة نسَبهم ، ونظرة المجتمع إليهم.

ولاشك أنّ وقوع الإنسان في الزنا سببه الجهل بخطورته، وبالعقوبة التي تنزل بالزاني، فلقد حَذّر الإسلام من القرب من الزنا قال تعالى :{وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا } [الإسراء: ٣٢] والواجب على المجتمع كله أن يتعاون على نشر الفضيلة، ومحاربة الرذيلة، وذلك بتيسير أمور الزّواج، وتوفير مساكن للشباب، والعمل على قضاء ظاهرة العنوسة.

ومن أسباب انتشار أطفال الشوارع : اليتم، فكل طفل فَقَدَ أبويه، أو أحدهما فلم يجد مَن يكْفُله ويقوم على شئونه، وهؤلاء الأطفال لم يتركهم الإسلام بتوجيهاته الرشيدة ، فيأمر الأوصياء وكل من له صلة قرابة بيتيم أن يحسنوا معاملته ، ويقوموا على شئونه ،ويشرفوا على تأديبه حتى يتربى على الخير، وينشأ على المكارم الخلقية ، والفضائل النفسية، وقد ساق الإسلام العديد من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي ترغّب في كفالة اليتيم ورعايته والقيام على شئونه، والسعي في مصالحه، وتنمية ماله إن كان له مال ، وإن لم يكن له مال أنفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله (تعالى)، قال تعالى:{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [البقرة: ٢٢٠] وليس بالضرورة أن يكون اليتيم غريبًا لِتَكْفلَه ، وإنما ذلك للقريب والغريب فلوتأملنا هذه الآيةونظرنا على وجه التحديد في موقع كلمة "إصلاح "ثم فكرنا في بدائلها اللغوية ومشتقاتها وما يرادفها ،وحاولنا أن نضع لها أيّ بديل لغوي–رأسيًا أوأفقيًا – في موضعها لوجدنا أنّ العربية على عمقها واتساعها عاجزةٌ عن أن توافينا أوتمدنا بكلمة تقوم مقام كلمة"إصلاح "في هذا الموضع .

فالإصلاح أمر جامع لما يحتاج إليه اليتيم ،فقد يحتاج إلى المال فيكون الإصلاح برًا وعطاءً ماديًا ،وقد يحتاج إلى من يتاجر له في ماله أو من يقوم على زراعته، أو صناعته، فيكون الإصلاح هو القيام بذلك ،وقد لا يحتاج اليتيم إلى المال ،إنما يحتاج إلي التقويم والتربية ،فيكون الإصلاح هنا رعايةً وتربيةً ،وقد لا ينقصه هذا ولاذاك،إنما تكون حاجته أشدّ ما تكون إلى العطف والحنو والإحساس بالأبوة،فيكون الإصلاح إشباع ذلك عنده .

وقد يكون الإصلاح في تقويم زيغه أو اعوجاجه ،فقد جاء أحد الناس يسأل النبي (ﷺ):ممّ أضرب يتيمي ؟فقال (ﷺ):ممّ كنت ضاربا منه ولدك "فالنبي (ﷺ)يطلب من السائل أن يعامل اليتيم معاملة ولده ،فينظر إلي ما يصلحه ويقومه ويشد عضده ،ومن هنا تلتقي البلاغة النبوية – في إيجازها ووفائها – مع المراد من النص القرآني ،وإن كان الحديث النبويّ قد ركز على جانب واحد من جوانب الإصلاح ،وهو التأديب والتقويم ،فإن الإصلاح في النص القرآني هو الكلمة الجامعة لما يحتاج إليه اليتيم وما يصلحه.

وجاءت امرأة بطفلتين لها إلى أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) تسألها الصدقة ، فلم تجد عائشة عندها شيئًا تتصدق به إلا تمرة ، فأعطتها التمرة ، فأخذت المرأة التمرة وشقّتها نصفين ، نصف لهذه الطفلة ونصف لهذه الطفلة ، فتعجبت عائشة من فعلها ، فأخبرت النبي(ﷺ) فقال:(إنّ الله قد أوجب لها الجنة). [ابن حبان والطبراني] . وقد قال داوود (عليه السلام) في مناجاته لربه : "إلهي ما جزاء من أسند اليتيم والأرملة ابتغاء وجهك ؟ قال : جزاؤه أن أظله في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي "، معناه ظل عرشي يوم القيامة. [السيوطي في الدر المنثور] .

إنّ هناك دورًا هامًّا على المؤسسات المعنيّة تجاه هذه الظاهرة ، فهذه الظاهرة تحتاج إلى الكثير من الرعاية التي توفر ما يحتاج إليه هؤلاء الأطفال من أشكال الرعاية اللازمة ، إلا أنه قد تعجز عنه الحكومات خاصة في حالة تفشي الظاهرة وانتشارها بشكل كبير وعلى نطاقٍ واسع .

ومن هنا فلا يقتصر الأمر على عمل الحكومة فقط ، بل الواجب على كل أفراد المجتمع وبخاصةٍ رجال الأعمال ومؤسسات المجتمع المدنى التعاون من أجل إيجاد الحل

الناجع والسريع لتلك الظاهرة السيئة ، ويقع الدور الأكبر على الأغنياء ورجال الأعمال فإنّ مواجهة مثل تلك من خلال عمل المشاريع اللازمة لذلك.

وهذا الدور الذي يؤديه الأغنياء من باب قول الله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى).

وهو أيضا يقوم على فهمٍ دقيقٍ لنظرة الإسلام إلى المجتمع على أنّه كسفينة واحدة إن غرقت غرقت بالجميع، وإن نجت نجا جميع من فيها، كما قال سيدنا رسول الله (ﷺ) قال: (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا.). (صحيح البخاري)

إنّ أغنياء المجتمع ليسوا بمعزل عن الآثار السلبية التي تنتج عن تفشي تلك الظاهرة في المجتمع، بل هم أول الناس تضررًا منها ، ولهذا فالتعاون في علاج تلك الظاهرة أمر ضروري يفرضه الإسلام، ويدعو إليه الواقع الأليم الذي يعيش فيه هؤلاء الأطفال الذين هم ضحايا آبائهم وأمهاتهم، ضحايا الإهمال وعدم التعاون.

وينبغي على الأغنياء أن يطبقوا قوله (ﷺ): (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ ». قَالَ فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لاَ حَقَّ لأَحَدٍ مِنَّا فِى فَضْلٍ). رواه مسلم.

ووجب عليهم أن يعلموا أنّ الفقراء هم صنعة إمساك الأغنياء وبخلهم بأموالهم، وعدم إخراج زكاتهم، قال سيدنا علي (رضي الله عنه) : (إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَى الأَغْنِيَاءِ فِي أَمْوَالِهِمْ بِقَدْرِ ما يكفي فُقَرَاءَهُمْ ، فإن جَاعُوا أوَ عَرُوا أو جَهِدوا ، فبمنع الأغنياء، وحقٌ على الله (عز وجل) أنّ يُحاسِبَهم يَوم القِيامة ويُعذّبهم عليه). (سنن سعيد بن منصور)

إنّ ظاهرة أطْفال الشّوارع – وما ينتج عنها من قضايا الأحداث المحمّلة بأنواعٍ من الجرائم – هي ظاهرة عامة ، تحتاج إلى تكاتفٍ وتعاونٍ بين جميع المؤسسات المدنية والحكومية على كافة مستوياتها ، وجميع تخصصاتها لحل هذه الظاهرة ، ومواجهتها على أسس وقواعد علمية، تتفق مع القيم الإنسانية، وتعاليم الإسلام السمحة ، ممتثلين توجيه النبي (ﷺ)حين قال « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى ». [صحيح مسلم]

والله ولي التوفيق